

النقش على الجبس

النقش على الجبس فن عمارة عريق تمتد جذوره إلى القرن الحادي عشرة للميلاد على يد المسلمين العرب الذين أبدعوا في العمارة الإسلامية أثناء تواجدهم بالأندلس، حيث ازدهرت مهنة الفسيفساء ومهنة الخشب المنقوش والملون ومهنة النقش على الجبس التي نقلها العرب إلى بعض المدن المغربية من طرف العرب المنحدرين من الأندلس وجدت ضالتها في عهد أبي عنان المريني الذي بنى المدارس المرينية بالمدن العتيقة كمدينة فاس ومدن سلا ومراكش وغيرها. وقد كانت لمدينة فاس السبق في إدخال هذا التراث الحضاري الذي طبع البيت المغربي بطابع متميز عن غيره من الدول. وازدهر في عهده هذا الفن حتى وصل أوجه مع تشييد الأضرحة والمساجد . وتشهد عنه منجزات ضريح محمد الخامس بالرباط ومسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء كما ساهم المعلمون الفاسيون في إدخال تقنيات النقش على الجبس إلى بعض الدول الإسلامية إذ تظهر بعض معالمه في كل القصور والمساجد والأضرحة والبنائيات الفخمة في دول الشرق العربية والإسلامية وبعض الدول الغربية، بإدخال فنون الرسم الأصلية والزخارف الجديدة المبتكرة المواكبة للذوق المعاصر.

فإذا كانت المساحات السفلية للجدران والأعمدة مغطاة بالفسيفساء (الزليج البلدي) فإن المساحات العلوية للبنائية (الأسقف والقباب) تكون مغطاة بالجبس المزخرف.

أداة العمل :

يحتاج النقاش أداة يدوية مكونة من مقبض خشبي مزود بقطعة حديدية رأسها حاد يطلق عليها اسم " المربع" ويستعملها النقاش لزخرفة الجبس بسهولة وإحكام ليصنع بها الأشكال الهندسية والنباتات بمعينات مجوفة تحمل حفرا عميقة أو حروفا مائلة أو خطوطا كوفية أو زخارف على شكل عش النحلة في غاية الجمال توحى بالرونق اللامنتهي..

مادة الجبس

الجبس مادة صلبة مكونة من ثنائي هيدرات كبريتات الكالسيوم وهي في الغالب مادة رمادية أو بيضاء، ومتوفرة بكثرة تأخذ شكل معدن أو صخر رسوبي إما على سطح الأرض أو بأعماق قد تصل إلى 350 م.

يوجد بالمغرب كثير من المناجم الضخمة والمتطورة وتمتاز بتفاوت في الجودة والثمن، فعلى سبيل المثال توجد محاجر الجبس قرب مدينة آسفي ذات جودة عالية ومحاجر مكس، تيسة ، وزان ونواحيها . تتفاوت أثمان هذه المادة من منطقة لأخرى... ويرجع هذا الفرق في الأسعار إلى الطريقة

البدائية التي يتم بها إخراج المادة من الأحجار الطفيلية والأملاح المختلطة بها الشيء الذي قد يسبب شقوقا وتغييرا في اللون بعد عملية النقش.

الكفاءات الحرفية

يتطلب فن نقش الجبس التعلم لمدة طويلة والمثابرة الدعوية والانتباه الدائم لأنه ليس بالسهل كما هو الحال في فن النحت. فإذا كان هذا الأخير يتطلب القوة العضلية والصبر، فإن النقش على الجبس يتطلب إضافة إلى كل هذا الكثير من قوة الملاحظة والتأمل والدقة والإلمام بقواعد الرياضيات والهندسة ومعرفة جيدة لخصائص مادة الجبس من حيث الاستعمال والتشكيل، وتأثير الحرارة والبرودة عليها، لأن الحرارة المرتفعة تعيق استعمالها وتفقد مرونتها التي بواسطتها يسهل التشكيل وتيسير الحفر. وبالتالي فإن المعلم الذي يمتحن هذا الفن يفترض أن يكون خبيرا فيه، فهو الوحيد الذي يملك القدرة على تنسيق الأشكال الهندسية الدائرية والأخرى ذات الزوايا المنفرجة أو الحادة وتلك التي تجمع بين هذه وتلك.

يعالج المعلم مادة الجبس بعناية فائقة إذ يجب أن تكون عناصره متماسكة. فبعد أن يخلط جيدا بالماء ويترك جانبا لمدة معينة حتى يصبح ليئا وجاهزا لبسطه على شكل طلاقات سميكة (من 3 إلى 4 سنتيمترات) على مساحات كبيرة ويمسح بواسطة محكاة، ثم يشرع في نقشه وتشكيله.

يتميز الجبس المغربي بطول مدة تصلبه الشيء الذي يترك للحرفي الوقت الكافي لنقشه وإصلاحه بعد أشهر إن اقتضى الحال ذلك .

أنواع النقوش الجبسية

تعرف نقوش الزخرفة على أنها مجموعة من الخطوط والنقاط والأشكال الهندسية وعدد من الرسوم النباتية والكلمات المتداخلة والمتناسقة والتي تعطي في النهاية شكلا مميزا يستخدم لتزيين الجدران والأعمدة والأسقف والقباب. وتعتبر الزخرفة أحد علوم الفنون التي تهدف إلى البحث في فلسفة النسبة والتناسب والتجريد والكتلة والفراغ والتكوين والخط واللون، ويمكن حصرها في ثلاث مجموعات: الزخارف النباتية والكتابية والهندسية (الزخرفة التصويرية غير معتمدة في المغرب). وتتنوع نماذج الزخرفة بالمغرب بفضل الطبيعة النباتية التي حباها الله لبلدنا التي تجمع الكثير من أنواع الأشجار والأزهار وأهم هذه النماذج :

التوريق:

نموذج من النقش في شكل أوراق نباتية تكون في مجملها باقة متكاملة من الأشكال المتناسقة، تبعث في النفس الراحة والهدوء والانشراح وتسمى " أرابيسك"

لكل ورقة اسم ومكان خاصين، وحين ينظر إليها البصر يجد فيها عالم من الرموز والمعاني ويكون في كثير من الأماكن كزوايا الأقواس وفوق الثريات.

التسطير

نموذج فن النقش الذي يضم سطور هندسية تتباعد فيما بينها لتشكل بعد التقائها نماذج "مربعة" أو "مخمسة" أو "مثمثة" وغيرها نسبة إلى عدد أضلاعها المكونة لها. ويستعمل هذا النموذج المسطرة والمنقلة لقياس الزوايا التي يطلق عليها اسم " الدابد" وكذلك الأقلام والقياس وعمليات الحساب الأربعة والبحث عن الأشكال التي تناسب الشكل المطلوب، ويبتدئ التسطير من التسمية الخماسية إلى المأوية ومنها ما يسمى ب "المطوي" أو ب" المشروم" أو " الديواني"

الكوفي

عبارة عن خطوط مكتوبة باللغة العربية و مستقيمة ذات الزوايا الحادة وقد سمي بالكوفي نسبة إلى مدينة الكوفة بالعراق وظل مستعملا في شتى الأغراض الكتابية وفي كتابة آيات القرآن الكريم.

الشماسية

عبارة عن نوافذ صغيرة مصنوعة من الجبس المنقوش، تدخل قطع من الزجاج الملونة في التخريم التي يخلفها الحفر في النقش، ويستعمل الزجاج الملون بالأخضر الزبرجدي والأحمر القرمزي أو اللون الفضي والبنفسجي الفاتح، مما يجعل أشعة الشمس تتسرب من خلال هذه النوافذ الجميلة كي تضيء المباني بشتى الألوان.